

لَامِيَّةُ الْعَجَمِ

لِلطُّغْرَائِيِّ

أَصَالَةُ الرَّأْيِ صَانَتْنِي عَنِ الْخَطَلِ وَحِلْيَةُ الْفَضْلِ زَانَتْنِي لَدَى الْعَطَلِ
مَجْدِي أَخِيرًا وَمَجْدِي أَوَّلًا شَرَعُ وَالشَّمْسُ رَأْدَ الضُّحَى كَالشَّمْسِ فِي الطَّفَلِ
فِيمَ الْإِقَامَةِ بِالزُّورَاءِ لَا سَكَنِي بِهَا وَلَا نَاقَتِي فِيهَا وَلَا جَمَلِي
نَاءٍ عَنِ الْأَهْلِ صِفْرُ الْكَفِّ مَنْفَرْدُ كَالسِّيفِ عُرِّيَ مَتْنَاهُ مِنَ الْخِلِّ
فَلَا صَدِيقَ إِلَيْهِ مَشْتَكَى حَزَنِي وَلَا أَنْيْسَ إِلَيْهِ مَتَهَى جَذَلِي
طَالَ اغْتِرَابِي حَتَّى حَنَّ رَاحِلَتِي وَرَحَلَهَا وَقَرَى الْعَسَّالَةَ الدُّبْلِ
وَضَجَّ مِنْ لَغَبٍ نَضْوِي وَعَجَّ لَمَّا أَلْقَى رِكَابِي وَلَجَّ الرِّكْبُ فِي عَذَلِي
أُرِيدُ بَسْطَةَ كَفِّ أَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى قَضَاءِ حُقُوقٍ لِلْعُلَى قِبَلِي
وَالدَّهْرُ يَعْكِسُ آمَالِي وَيُقْنَعُنِي مِنْ الْغَنِيمَةِ بَعْدَ الْكَدِّ بِالْقَفْلِ
وَذِي شَطَاطٍ كَصَدْرِ الرُّمَحِ مَعْتَقِلٍ بِمَثَلِهِ غَيْرِ هَيَّابٍ وَلَا وَكِلِ
حَلَوُ الْفُكَاهَةِ مُرُّ الْجِدِّ قَدْ مُزِجَتْ بِقَسْوَةِ الْبَاسِ فِيهِ رِقَّةُ الْغَزَلِ

طردتُ سرحَ الكرى عن وِردِ مُقْلَتِهِ
والليلُ أغرى سوامَ النومِ بالمُقَلِّ
والركبُ ميلٌ على الأكوارِ من طَرِبِ
صاحٍ وآخرَ من خمرِ الكرى ثَمِلِ
فقلتُ أدعوكَ للجُلَى لتنصُرَني
وأنتَ تخذُلُني في الحادثِ الجَلِّ
تنامَ عني وعينُ النجمِ ساهرةٌ
وتستحيلُ وصبغُ الليلِ لم يحلِ
فهل تُعِينُ على غَيِّ هممتُ بهِ
والغَيُّ يزجُرُ أحياناً عن الفَشَلِ
اني أريدُ طروقَ الحَيِّ من إضَمِ
وقد حماهُ رُماةٌ من بني ثُعَلِ
يحمونَ بالبيضِ والسُّمْرِ اللدانِ بهمِ
سودَ الغدائرِ حُمَرَ الحَلِيِّ والحُلِّ
فسِرْ بنا في ذِمَامِ الليلِ مُعتسفاً
فالحبُّ حيثُ العِدَى والأسدُ رابضةٌ
بنفحةِ الطيبِ تَهْدِينَا إِلَى الحِلِّ
نؤمُ ناشئةً بالجزعِ قد سقيتِ
حولِ الكِنَاسِ لها غابٌ من الأَسَلِ
قد زادَ طيبَ أحاديثِ الكرامِ بها
نصالها بمياهِ الغنجِ والكحلِ
تبيتُ نارُ الهوى منهنَّ في كَبِدِ
ما بالكرائمِ من جُبْنٍ ومن بخلِ
يقتُلنَ أنضاءَ حبٍّ لا حَرَاكَ بها
حرى ونارِ القِرَى منهم على القُلَلِ
وينحرونَ كرامَ الخيلِ والإبلِ
يُشفَى لديعُ العوالي في بُيوتِهِمُ
بنهلهِ من لذيذِ الحَمْرِ والعَسَلِ

لعلَّ إِمَامَةً بِالْجِرْعِ ثَانِيَةً يَدُبُّ فِيهَا نَسِيمُ الْبُرِّ فِي عَلِيٍّ
لَا أَكْرَهُ الطَّعْنَ النِّجْلَاءَ قَدْ شُفِعَتْ بِرَشْقَةٍ مِنْ نِيَالِ الْأَعْيُنِ النَّجْلِ
وَلَا أَهَابُ الصِّفَاحِ الْبَيْضِ تُسْعِدُنِي بِاللَّحْمِ مِنْ خَلِّ الْأَسْتَارِ وَالْكَلِّ
وَلَا أَخِلُّ بِغَزْلَانِ تُغَارِزُنِي وَلَوْ دَهْتَنِي أَسْوَدُ الْغَيْلِ بِالْغَيْلِ
حُبُّ السَّلَامَةِ يَنْثِي هَمَّ صَاحِبِهِ عَنْ الْمَعَالِي وَيُغْرِي الْمَرْءَ بِالْكَسْلِ
فَإِنْ جَنَحْتَ إِلَيْهِ فَاتَّخِذْ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سَلَمًا فِي الْجَوِّ فَاعْتَزِلْ
وَدَعْ غَمَارَ الْعُلَى لِلْمُقَدِّمِينَ عَلَى رُكُوبِهَا وَاقْتَنِعْ مِنْهُمْ بِالْبَلِّ
يَرْضَى الذَّلِيلُ بِخَفْضِ الْعِشْرِ مَسْكَنَةً وَالْعَزُؤُ عِنْدَ رَسِيمِ الْأَيْتِقِ الذُّلِّ
فَادْرَأْ بِهَا فِي نَحْوِ الْبَيْدِ جَافِلَةً مَعَارِضَاتٍ مِثْلَانِي اللَّجْمِ بِالْجُدْلِ
إِنَّ الْعُلَى حَدَّثَتْنِي وَهِيَ صَادِقَةٌ فِي مَا تُحَدِّثُ أَنَّ الْعَزَّ فِي الثَّقَلِ
لَوْ أَنَّ فِي شَرَفِ الْمَأْوَى بُلُوغَ مُنَى لَمْ تَبْرَحِ الشَّمْسُ يَوْمًا دَارَةَ الْحَمَلِ
أَهْبْتُ بِالْحِظِّ لَوْ نَادَيْتُ مُسْتَمِعًا وَالْحِظُّ عَنِّي بِالْجُهَالِ فِي شُغْلِ
لَعَلَّهُ إِنْ بَدَأَ فَضْلِي وَنَقْصُهُمْ لَعَيْنِهِ نَامَ عَنْهُمْ أَوْ تَنَبَّهَ لِي
أَعْلَلُ النَّفْسَ بِالْأَمَالِ أَرْقُبُهَا مَا أَضْيَقَ الْعِشْرِ لَوْلَا فَسْحَةُ الْأَمَلِ

لم أرتضِ العيشَ والأيامَ مقبلَةً فكيف أرضى وقد ولتُ على عَجَلٍ
غالى بنفسِي عِرْفاني بقيمتِها فصُتُّها عن رخيصِ القَدْرِ مبتَدِلٍ
وعادةُ السيفِ أن يُزْهَى بجوهره وليس يعملُ إلا في يَدَي بَطَلٍ
ما كنتُ أُؤثِّرُ أن يمتدَّ بي زمَني حتى أرى دولةَ الأوغادِ والسَّفَلِ
تقدَّمتني أناسٌ كان شوطُهم وراءَ خطوي لو أمشي على مَهَلٍ
هذا جِزَاءُ امرئٍ أقرَّنه درجوا من قَبْلِهِ فتمنَّى فُسْحَةَ الأَجَلِ
فإنْ علانيَ مَنْ دُونِي فلا عَجَبٌ لي أسوَةٌ بانحطاطِ الشمسِ عن زُحَلٍ
فاصبرْ لها غيرَ محتالٍ ولا ضَحِرٍ في حادثِ الدهرِ ما يُغني عن الحِيلِ
أعدى عدوَّكَ أدنى من وثَّقتَ به فحاذِرِ الناسِ واصحبهم على دَخَلِ
فإنَّما رجلُ الدُّنيا وواحِدها من لا يعوِّلُ في الدُّنيا على رَجُلٍ
وحسنُ ظنِّكَ بالأيامِ معجزةٌ فظنٌّ شَرًّا وكنْ منها على وَجَلِ
غاضَ الوفاءُ وفاضَ الغدرُ وانفرجتْ مسافةُ الخُلْفِ بين القولِ والعملِ
وشانَ صدقك عند الناسِ كذبُهم وهل يُطابِقُ معوجٌ بمعتدِلٍ
إنْ كان ينبعُ شيءٌ في ثباتهم على العُهودِ فسبِقُ السيفِ للعَدَلِ

يا وارداً سُورَ عيشٍ كُلُّهُ كَدَرٌ أنفقتَ صفوكَ في أيامِكَ الأوَّلِ
فيمَ اقتحامكَ لُجَّ البحرِ تركبُهُ وأنتَ تكفيكَ منه مَصَّةُ الوَشَلِ
مُلْكُ القنَاعَةِ لا يُخْشَى عليه ولا يُحتَاجُ فيه إلى الأنصارِ والحَوَلِ
ترجو البَقَاءَ بدارٍ لا ثَبَاتَ بها فهل سَمِعتَ بظُلٍّ غيرِ منتَقِلِ
ويا خبيراً على الأسرارِ مُطَّلِعاً اصْمُتْ ففي الصَّمْتِ مَنجَاةٌ مِنَ الزَّلَلِ
قد رَشَّحوكَ لأمرٍ إنْ فُطِنْتَ لَهُ فاربأُ بنفسِكَ أنْ ترعى مع الهَمَلِ